The Relationship between Muslims and the People of the Book in the Light of Quranic Regulations

Dr Jamal Mahmoud Abu Hassan
Department of Theology - Faculty of Dawa and Fundamentals of Religion
The World Islamic Sciences & Education University, Jordan
dr_jamalhassan@hotmail.com

Received 24/11/2013 Accepted 16/6/2014

Abstract

Muslims have been occupied with issues relating to the relationship between themselves and the People of the Book before others. Muslims have been much interested in those provisions of the Quran that are related to that issue. The research aims at clarifying a brief discussion based on those verses in order to elucidate that relationship, especially the whole world's nations are taking support on a fragile stick. Thus, whenever a tragic event occurs in their country, they hasten to accuse Muslims with terrorism, consider that they are not qualified to live peacefully in this world, and that their religion exhorts them to kill people. Consequently, the researcher desired to deeply enter the investigation. This paper adopted a descriptive and an analytical approach through mentioning what Quran mentions in this regard, and then does a required analytical study until it reaches a goal that entails results.

The research concluded with several results:

1. All nations did not experience real justice except under Islam and Muslim rule.
2. Islam does not force people to embrace it.
3. Our real conditions are obvious. The wise should therefore not incite all people against the Islamic nation through baseless arguments.
4. Muslims must understand that the world does not entirely belong to us alone, therefore, we must live in peace with others without any one violating the other.

Keywords: People of the Book, war, terrorism, treatment/mutual association, coercion, relationship.

العلاقة بين المسلمين وأهل الكتاب في ضوء الأحكام القرآنية

د. جمال محمود أبو حسان
قسم أصول الدين- كلية الدعوة وأصول الدين
جامعة العلوم الاسلامية العالمية -الاردن
dr_jamalhassan@hotmail.com

تاريخ استلام البحث ٢٠١٣/١١/٢٤ تاريخ قبول البحث ٢٠١٤/٦/١٦

ملخص

شغلت العلاقة بين المسلمين وأهل الكتاب المسلمين أنفسهم قبل أن تشغل غيرهم، واهتم المسلمون كثيرا بتلك الأحكام القرآنية المتعلقة بذلك. ويهدف البحث إلى بيان مختصر يتكيء على تلك الآيات في تبيين تلك العلاقة، لا سيما وأمم الدنيا كلها متوكئة على عصا هشة، فكلما حدث في بلادنهم حدث سارعوا إلى اتهام المسلمين به وسارعوا بوصف أمة الإسلام عموما بالإرهاب وأنها أمة غير قابلة للتعايش في هذا العالم، وأن دينها يحضها على قتل الناس. لذلك كله ولغيره أحب الباحث أن يخوض غمار البحث. وقد سلك الباحث في هذا البحث المنهج الوصفي والمنهج التحليلي وذلك ببيان ما ذكره القران في هذا الصدد ثم القيام بدراسة تحليلية لما هو مطلوب حتى يصل إلى ما هدف من نتائج

وقد خلص الباحث إالى نتائج عدة من هذا البحث هي:

١. أن أمم الأرض لم تذق طعم العدالة الحقيقية إلا عند الإسلام والمسلمين
٢. ليس في دين الإسلام الدعوة إليه بالإكراه والعنف
٣. نحن أمة اليوم حالها لا يخفى على أحد ولذا على العقلاء أن لا يستعدوا الناس جميعا على أمة الإسلام بحجج وبلا حجج
٤. يجب أن نعي تماما أن العالم ليس لنا وحدنا وأننا في ضوء هذه الحقيقة يجب أن نتعايش بسلام مع الآخرين دون اعتداء من أحد على أحد.

الكلمات المفتاحية: أهل الكتاب، القتال ، الارهاب، المعاملة، الاكراه، العلاقة.

مقدمة

الحمد لله رب العالمين الذي من علينا بالإسلام، وجعلنا خير أمة أخرجت للناس تصديقا لقوله سبحانه:" **كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنْ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ** " **(١١٠: آل عمران)** وقوله سبحانه" **وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيداً (١٤٣: البقرة).**

أرسل إلينا سبحانه رسولا جعله للناس عنوان الرحمة فقال سبحانه" **وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ** " **(١٠٧: الأنبياء).** ومقتضى رحمته صلوات الله تعالى، وسلامه عليه بالناس هو عمومها لجميع الخلق وليس لفئة دون فئة. وقد كان هذا مفسرا أوضح تفسير في سيرته العملية صلوات الله وسلامه عليه. فما عرف عنه طيلة حياته أنه كان قاسيا غليظ القلب مع أحد. وهذا يصدقه قوله تعالى " **فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنْ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظّاً غَلِيظَ الْقَلْبِ لانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ** "**(١٥٩: آل عمران)**

وهكذا كان الإسلام دين رحمة ورأفة بالناس جميعا بدءا بالفرد نفسه فيما بينه وبين نفسه، وفي تعامله مع غيره حتى مع اختلاف الدين.

ولهذا كله كانت الكتابة في هذا المجال تعد صورة من صور إظهار محاسن الإسلام التي غابت عن كثيرين من أبناء المسلمين، وانتقلت غيبتها عن كثير من غير المسلمين، فأحببت أن أبين في هذه الورقات بعض تلك المحاسن في علاقة المسلمين بغيرهم من أهل الكتاب.

أسئلة الدراسة:

تتمحور أسئلة الدراسة حول عدة أسئلة مهمة وهي: ما حدود العلاقة بين المسلمين وأهل الكتاب في ضوء الآيات القرآنية؟ وهل ترك القرآن تلك العلاقة بدون تحديد؟ وما ضوابط تلك العلاقة؟ وهل هناك علاقة بين الإسلام والإرهاب؟

هدف الدراسة:

نظر الباحث في هذا الأمر فوجد أن المسألة بحاجة إلى تحديد شكل العلاقة مع أهل الكتاب اعتمادا على الآيات القرآنية التي لا يزيغ من اتبعها، ولا يضل من سلك مسالكها.

أهمية الدراسة:

تكمن أهمية هذه الدراسة في أنها تزيل بعض الغمام عن أمة الإسلام، وتدفع عنها عادية الشبهات والأقاويل.

منهج الدراسة:

قد سلك الباحث في هذا البحث المنهج الوصفي والمنهج التحليلي وذلك ببيان ما ذكره القرآن في هذا الصدد، ثم القيام بدراسة تحليلية لما هو مطلوب حتى يصل الباحث إلى النتائج.

سبب الكتابة في هذا الموضوع

يعود السبب في هذا إلى أنني استمعت إلى درس من أحد الأشخاص في أحد المساجد كان سببا حافزا في اختيار هذا الموضوع على الرغم من وضوحه، لكن يبدو أننا أمة لا يزال أبناؤنا أو أكثرهم لا يقرأون فقد استمعت إلى أحد المدرسين وهو يشرح العلاقة بين المسلمين وأهل الكتاب على النحو الآتي: "نحن المسلمين نعتقد أن أهل الكتاب كفار، وأنهم لامحالة سيدخلون جهنم إن بقوا على كفرهم. ولذلك علينا أن ندعوهم للإيمان؛ لأن هذا من رحمة هذه الأمة بغيرها من الأمم. فإن هم أبوا وأرادوا البقاء على الكفر فإن من رحمتنا بهم أن نقتلهم!! حتى لا تثقل موازينهم بالسيئات" والعجب كله ليس في هذا الكلام ولكن الأعجب منه أن يكون الصادر عنه يعد رسالة الدكتوراه في تفسير القرآن الكريم!! وأنت ترى أن هذا الكلام ليس له علاقة بالعلم، فإذا كان أمر أصحاب الدراسات العليا كذلك فماذا نحن واجدون فيمن هم دونهم؟ يا للهول!! فهذا كان الحافز لاختيار هذا الموضوع.

الدراسات السابقة:

لا أظن أن هذا الموضوع خلا من الدراسات العلمية والبحثية، لكن الأمر يتطلب دراسة مختصرة بين الفينة والفينة تذكر المسلمين أولا بما يلزمهم تجاه هذه الأمة المباركة، وتذكر الأعداء والأدعياء على حد سواء بأن الأمة وعلماءها على دراية بما يحاك حولها، لذا جاء هذا البحث ليغطي ثغرة في هذا الباب. وقد رأيت أن كثيرا مما كتب في هذا الموضوع كتب كتابة فقهية، تستدعي النظر في أقوال الفقهاء ومناقشتها من مثل بحث الأستاذ محمد الهواري الذي كان بعنوان طبيعة علاقة المسلمين بغيرهم من الأمم، وهو بحث عام وأغلبه مخصص لبحث الجهاد، ثم تقسيم العلاقة بين المسلمين وغيرهم من الأمم بين الحرب والسلم والدعوة[1]. ومثل رسالة عبد الله بن إبراهيم الطريفي المعنونة بـ(التعامل مع غير المسلمين أصول معاملتهم واستعمالهم دراسة فقهية) وهي رسالة قدمت للمعهد العالي للقضاء في السعودية سنة ١٤٠٦هـ، وطبعت سنة ٢٠٠٧م. وهي رسالة مهمة لكنها تتحدث عن مسائل تفصيلية دقيقة من الناحية الفقهية، والبحث الذي أقوم به ليس كذلك. ومثل بحث بعنوان(أصل العلاقة مع غير المسلمين من منظور إسلامي) تقدم به الباحث أحمد تيجاني هارون لندوة تطور العلوم الفقهية التي انعقدت في سلطنة عمان وهو بحث صغير التزم فيه بالتحليل الفقهي، وعموما كل هذه البحوث وغيرها تتحدث عن هذه القضية من خلال سلطان دولة الإسلام الغالب، وأما بحثي فيتحدث في الواقع المعاصر

وقد انتظم الحديث في هذا البحث في المطالب الآتية:

المطلب الأول: طرف من بيان بعض أوصاف أهل الكتاب فيما يتعلق بما نحن فيه

المطلب الثاني: طرف من بيان أحكام الله تعالى في كيفية تعامل المسلمين مع أهل الكتاب.

المطلب الثالث: نبذة حول القتال في الإسلام أسبابه ومسوغاته.

المطلب الرابع: المسلمون في عالم اليوم.

وإني إذ أقدم هذا البحث راجيا أن يكتب الله تعالى له القبول لا يسعني إلا أن أقدم عميق شكري وجزيل امتناني لمجلة جامعة الزرقاء لما تبذله في خدمة الباحثين، أسال الله تعالى أن يجزي القائمين عليها خير الجزاء، وأن يأخذ بأيديهم إلى ما فيه الخير والصلاح.

المطلب الأول: طرف من بيان بعض أوصاف أهل الكتاب فيما يتعلق فيما نحن فيه

لقد ذكر الله تعالى أهل الكتاب من اليهود والنصارى في القرآن الكريم مرات كثيرة مرة باسم اليهود، ومرة باسم النصارى، وذلك على التوزيع ومرة هي الأكثر باسم أهل الكتاب. وفي أحيان كثيرة يقع الخلط بين الوصف الخاص، والآيات التي تتحدث عن ما يجب على المسلمين فعله مع هؤلاء فلا يكون التدبير حسنا، وسنرى بعد قليل شيئا من هذا. وهذه نماذج من آيات تتحدث عن بعض ما وصف الله تعالى به أهل الكتاب سواء في أنفسهم أم مع غيرهم. وسنعرض لمعاني هذه الآيات بإيجاز من كتاب المنتخب في تفسير القرآن الكريم الصادر عن وزارة الأوقاف المصرية:

١.قوله تعالى:"مَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلا الْمُشْرِكِينَ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْكُمْ مِنْ خَيْرٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَاللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ" (١٠٥: البقرة)

جاء في المنتخب من التفسير: ولتعلموا أن هؤلاء الكافرين من اليهود والمشركين من عبدة الأصنام لا يرجون إلا ضرركم ولا يودون أن ينزل عليكم من خير من ربكم، والله لا يقيم وزنا لما يرجون، وما يكرهون فالله يختص برحمته من يشاء والله ذو الفضل العظيم[2]

على أننا يجب أن نلاحظ من سياق التعبير القرآني في هذه الآية أن الله تعالى لم يصف أهل الكتاب بأنهم كافرون، وإنما كان بعض منهم كذلك وهذا هو تعبير" **الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ**" ولا شك أن لهذا دلالته التي يجب أن لا يغفل عنها الباحثون.

[1] . نشر هذا البحث في مجلة الجامعة الإسلامية المجلد التاسع عشر، العدد الثاني، ٢٠١١م

[2] . المنتخب في تفسير القرآن الكريم ص٢٤

٢.قوله تعالى:"وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّاراً حَسَداً مِنْ عِنْدِ أَنفُسِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ الْحَقُّ فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ" (١٠٩ :البقرة)

جاء في معنى هذه الآية في كتاب المنتخب ما نصه: ولقد تمنى كثير من اليهود أن يردوكم أيها المسلمون إلى الكفر بعد إيمانكم، مع أنه قد تبين لهم من كتابهم نفسه أنكم على الحق، وما ذلك إلا لأنهم يحسدونكم، ويخشون أن ينتقل إليكم السلطان، ويفلت من أيديهم فاعرضوا عنهم، واعفوا واصفحوا حتى يأذن الله لكم بمسلك آخر حيالهم فهو القادر على أن يمكنكم منهم، وهو على كل شيء قدير[١].

وينبغي ملاحظة ما سبق من عدم التعميم في هذه الآية أيضا

٣.قوله تعالى:"قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلاَّ نَعْبُدَ إِلاَّ اللَّهَ وَلا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئاً وَلا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضاً أَرْبَاباً مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ (٦٤) يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تُحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ وَمَا أُنْزِلَتْ التَّوْرَاةُ وَالإِنجِيلُ إِلاَّ مِنْ بَعْدِهِ أَفَلا تَعْقِلُونَ (٦٥) هَاأَنْتُمْ هَؤُلاءِ حَاجَجْتُمْ فِيمَا لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَاجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ" (٦٦). آل عمران

وفي معنى هذه الآيات جاء في كتاب المنتخب: قل –يا أيها النبي – يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة عادلة جامعة تجري بيننا ونذكرها على السواء، وهي أن نخص الله تعالى بالعبادة، ولا نجعل غيره شريكا له فيها، ولا يطيع بعضنا بعضا، وينقاد له في تحليل شيء أو تحريمه، تاركا حكم الله تعالى فيما أحل وحرم. فإن أعرضوا عن هذه الدعوة الحقة فقولوا لهم اشهدوا بأنا منقادون لأحكام الله، مخلصون له الدين ولا نعبد سواه. ويا أهل الكتاب لم تتنازعون وتجادلون في دين إبراهيم، كل منكم يدعي أنه على دينه. في حين أن إبراهيم سابق في الوجود على التوراة والإنجيل بشريعة خاصة، وما أنزلت التوراة والإنجيل إلا من بعده، فكيف يكون على شريعة واحدة منهما؟ أليست لكم عقول تدركون بها بطلان هذا الكلام الذي يناقض الواقع؟ ها أنتم يا هؤلاء جادلتم في أمر عيسى وموسى الذي لكم به معرفة – كما تزعمون– فكيف تجادلون في كون إبراهيم يهوديا، أو نصرانيا، وليس لكم بذلك علم، والله تعالى يعلم حقيقة ما تنازعتم فيه، وأنتم لا تعلمون[٢]

وواضح من هذه الآيات أنها تعالج خللا ما في سلوكيات أهل الكتاب الدينية

٤.قوله تعالى:"يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تُطِيعُوا فَرِيقاً مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ" (١٠٠) آل عمران

وفي معني هذه الآية قال في المنتخب: وقد حذر الله تعالى المؤمنين مما يثيره بعض أهل الكتاب من شبهة قائلا: أن تطيعوا بعض أهل الكتاب فيما يبثونه من الشبهة في دينكم، تعودوا إلى الضلال بعد الهداية، ويردوكم جاحدين بعد الإيمان[٣]

وواضح أيضا أن هذه الآية تدل بمنطوقها، ومفهومها أيضا على أن ثمة خلالا ما في العلاقة ما بين بعض أهل الكتاب والمسلمين. فانظر كيف عالجت الآية هذا الخلل؟

٥.قوله تعالى:"وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَى وَلَئِنْ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنْ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنْ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلا نَصِيرٍ" (١٢٠ : البقرة)

وفي معنى هذه الآية جاء في المنتخب: فلا تزهق نفسك في استرضاء المعاندين من اليهود والنصارى، فإن هؤلاء لن يرضوا عنك حتى تتبع ملتهم التي يزعمون أنها الهدى، وليس ثمة هدى إلا هدى الله تعالى في الإسلام، ومن يتبع أهواء هؤلاء من بعد أن علم ما أنزلناه إليك من الحق فلن يكون له يوم القيامة من دون الله ولي يعينه، ولا نصير يدفع عنه العذاب[٤].

٦.قوله تعالى:"لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى ذَلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَاناً وَأَنَّهُمْ لا يَسْتَكْبِرُونَ" (٨٢ : المائدة)

وفي معنى هذه الآية جاء في المنتخب: نؤكد لك أيها النبي أنك تجد أشد الناس حقدا وكراهية لك، ولمن آمن بك، هم اليهود، والذين أشركوا مع الله في العبادة، وتجد أن أقرب الناس مودة ومحبة لك، هم أتباع عيسى عليه السلام الذين سموا أنفسهم نصارى؛لأن فيهم قسيسين يعلمون دينهم، ورهبانا يخشون ربهم، ولأنهم لا يستكبرون عن سماع الحق[٥].

وواضح من هذه الآية التمييز في العلاقة مع المؤمنين بين طوائف أهل الكتاب. إذ بهذا التمييز يستنير المسلم دربه ويعرف أين يضع قدمه.

٧.قوله تعالى:"يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (٥١) فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يُسَارِعُونَ فِيهِم يَقُولُونَ نَخْشَى أَنْ تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ فَعَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِنْ عِنْدِهِ فَيُصْبِحُوا عَلَى مَا أَسَرُّوا فِي أَنْفُسِهِمْ نَادِمِينَ" (الآيتان من سورة آل عمران)

---

[١] . السابق ص ٢٥.

[٢] . المنتخب في تفسير القرآن ص٨١.

[٣] . السابق ص٨٧.

[٤] . المنتخب ص٢٧.

[٥] . السابق ١٦١.

جاء في معنى هاتين الآيتين: يا أيها الذين آمنوا لا يحل لكم أن تتخذوا اليهود ولا النصارى نصراء توالونهم، فهم سواء في معاداتكم. ومن جعل لهم الولاية عليه فإنه من جملتهم، وأن الله تعالى لايهدي الذين يظلمون أنفسهم بجعل ولايتهم للكافرين. وإذا كانت ولايتهم لا يتبعها إلا الظالمون، فإنك ترى الذين يوالونهم في قلوبهم الضعف والنفاق، إذ يقولون : نخاف أن تصيبنا كارثة عامة فلا يساعدونا! فعسى الله تعالى أن يحقق الفتح لرسوله والنصر للمسلمين على أعدائهم أو يظهر نفاق أولئك المنافقين فيصبحوا نادمين آسفين على ما كتموه في نفوسهم من كفر وشك[1]

هذا طرف مما ذكره القرآن الكريم فيما يتعلق بهذا الجانب وقد ظهر فيه بعض الأخلاق غير السوية التي اتصف بها هؤلاء الناس مع المؤمنين. وقد أخبر الله تعالى أن هذه الأخلاق لم تأت وليدة فراغ، وإنما جاءت بسبب الحسد الذي دب في نفوس هؤلاء بعد أن انتقلت الرياسة الدينية منهم –كما يزعمون– إلى غيرهم فقال سبحانه: "**وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّاراً حَسَداً مِنْ عِنْدِ أَنفُسِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**" (١٠٩ : **البقرة**)

ومع كل ما كان من أهل الكتاب من حسد وغيره إلا أن الله تعالى أمر المؤمنين بأن تكون علاقتهم مع أهل الكتاب علاقة مميزة تختلف عن علاقة المؤمنين بالمشركين، ومن لا دين لهم وهذا ما سيتبين لنا الآن.

المطلب الثاني: طرف من بيان أحكام الله تعالى في كيفية تعامل المسلمين مع أهل الكتاب

القرآن الكريم أنزله الله تعالى لهداية البشر كل البشر ولم يجعله مقصورا على أحد دون أحد، وقد تحدث القرآن في آيات عديدة عن أهل الكتاب تارة لبيان تاريخهم وتارة لبيان عقائدهم، وأحوالهم، وتارة لبيان علاقاتهم بغيرهم. ولم يكن في حديث القرآن الكريم عنهم ما يشعر بأن القرآن الكريم جمع أهل الكتاب جميعا في بوتقة واحدة، وحكم عليهم حكما عاما. بل كان الحديث عنهم منصفا غاية الإنصاف، فبين أحوالهم، وميز بين الصالح منهم والعاصي، ومن فيه خير ممن لا خير فيه، كل ذلك بحديث معجز يفيض بلاغة وإنصافا، تأمل قوله تعالى: " **مَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلا الْمُشْرِكِينَ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْكُمْ مِنْ خَيْرٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَاللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ**" (١٠٥: البقرة)

ففي هذه الآية دلالتان:

الأولى في قوله تعالى: "**ما يود الذين كفروا من أهل الكتاب**" تدل على أنه تعالى أراد بعضا منهم، وأن هذا الحكم ليس عاما، فقد قال ابن جرير الطبري رحمه الله تعالى: **ليس يحب كثير من أهل الكتاب**[2]. وقول الطبري ظاهر في أن الآية لم يكن القصد منها تعميم الحكم على أهل الكتاب بل هذه رغبة فريق منهم.

والثانية: قال الجصاص في كتاب أحكام القرآن: وظاهره يقتضي أن المعطوف غير المعطوف عليه إلا أن تقوم الدلالة على شمول الاسم للجميع، وأنه أفرد بالذكر لضرب من التعظيم، أو التأكيد كقوله تعالى: (من كان عدوا لله وملائكته ورسله وجبريل وميكال) فأفردهما بالذكر تعظيما لشأنهما مع كونهما من جملة الملائكة .

إلا أن الأظهر أن المعطوف غير المعطوف عليه إلا أن تقوم الدلالة على أنه من جنسه، فاقتضى عطفه أهل الكتاب على المشركين أن يكونوا غيرهم[3]. وكلام الجصاص هنا ظاهر في الدلالة على المراد منه أن أهل الكتاب ليسوا هم المشركون وإن كان في بعض المواضع ذكر أن من أهل الكتاب من يكون كذلك. ومثل هذا قوله تعالى: (**وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّاراً حَسَداً مِنْ عِنْدِ أَنفُسِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**) (١٠٩: **البقرة**) فهو ظاهر الدلالة على أن هذا الوداد ليس عاما في جميع أهل الكتاب بل إن كثيرا منهم من وقع أو يقع منه هذا، ولكن القليل التالي ليس كذلك ولعمر الحق إن هذا لهو الإنصاف بعينه. وانظر إلى قوله تعالى: **(وَدَّتْ طَائِفَةٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يُضِلُّونَكُمْ وَمَا يُضِلُّونَ إِلاَّ أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ) (٦٩: آل عمران)** فإنه واضح الدلالة على أن المقصود بعض أهل الكتاب لا كلهم. فإن لم يكن هذا هو الإنصاف فما عساه يكون؟ ومثل هذا كثير في كتاب الله تعالى

وها أنا ذا أذكر بعض ما ذكر في القرآن من أحكام تتعلق بما نحن فيه وعلى سبيل الإيجاز:

١. إباحة أكل لحوم أهل الكتاب دون غيرهم من الأمم وهذا يعني أن القرآن الكريم يميز بين أهل الكتاب وبين غيرهم من الأمم ممن حولهم، وما هذا إلا لأنه يحترم كتابهم الذي نزل عليهم من الله تعالى، ولأن القرآن إنما جاء متمما لما في هذه الكتب ومهيمنا عليها قال تعالى:" **الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَهُمْ**" (٥:المائدة) ولا شك أن في إباحة أكل لحومهم ما يعد تمهيدا لإقامة علاقات طيبة مع أهل الكتاب فإن تناوب إطعام الطعام يعد من هذا الباب. وهذا الحكم قد قال به جماهير الفقهاء من السلف والخلف على أن المقصود بهذه الآية هو حل ذبائح أهل الكتاب. واختلفوا فيما لو ارتكب الكتابي في الذبح ما يجعل الذبيحة محرمة عند المسلم ما حكم هذا؟ فقال بعض بالإباحة

[1] . المنتخب ص ١٥٦.

[2] . تفسير الطبري ج٢ص٤٧٠ طبعة شاكر.

[3] . أحكام القرآن للجصاص ج٢ص١٦

المطلقة ومنع آخرون. فقال الشافعي رحمه الله تعالى في الأم: أحل الله تعالى طعام أهل الكتاب، وكان طعامهم عند بعض من حفظت عنه من أهل التفسير ذبائحهم، وكانت الآثار تدل على إحلال ذبائحهم فإن كانت ذبائحهم يسمونها لله تعالى فهي حلال، وإن كان لهم ذبح آخر يسمون عليه غير اسم الله تعالى مثل اسم المسيح، أو يذبحونه باسم دون الله تعالى لم يحل هذا من ذبائحهم ولا أثبت أن ذبائحهم هكذا. فإن قال قائل: وكيف زعمت أن ذبائحهم صنفان وقد أبيحت مطلقة؟ قيل قد يباح الشيء مطلقا، وإنما يراد بعضه دون بعض فإذا زعم زاعم أن المسلم إن نسي اسم الله تعالى أكلت ذبيحته، وإن تركه استخفافا لم تؤكل ذبيحته، وهو لا يدعه للشرك كان من يدعه على الشرك أولى أن تترك ذبيحته، وقد أحل الله عز وجل لحوم البدن مطلقة فقال :" **فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا فَكُلُوا مِنْهَا**"(٣٦:الحج)" ووجدنا بعض المسلمين يذهب إلى ألا يؤكل من البدنة التي هي نذر، ولا جزاء صيد، ولا فدية فلما احتملت هذه الآية ذهبنا إليه وتركنا الجملة؛ لا أنها خلاف للقرآن، ولكنها محتملة، ومعقول أن من وجب عليه شيء في ماله لم يكن له أن يأخذ منه شيئا؛ لأنا إذا جعلنا له أن يأخذ منه شيئا فلم نجعل عليه الكل، إنما جعلنا عليه البعض الذي أعطى فهكذا ذبائح أهل الكتاب بالدلالة على شبيه ما قلنا[١] .

وأما ما عداها من المطعومات التي لا تحتاج إلى ذكاة فلا خلاف بين المسلمين في حل تناولها ما لم تكن محرمة في شريعتنا. كشرب الخمر إذا كانوا قد استباحوه في دينهم فلا يحل لمسلم أن يشرب الخمر استمساكا بهذه الآية.

٢. إباحة الزواج من العفيفات من نساء أهل الكتاب

وهذا الحكم مما لم يختلف في أصله بين الفقهاء ولا بين المفسرين في تفسير هذه الآية . غير أنه جرى خلاف في اعتبار بعض الأوصاف فقيد بعض المفسرين والفقهاء وأطلق آخرون دون تقييد عملا بظاهر الآية الكريمة .وليس ههنا محل تفصيل هذه الأقوال[٢] غير أن بعض المفسرين والفقهاء جعل هناك خصوصية سياسية لولي الأمر لتعطيل هذا الجانب إذا صارت الخشية منه بينة على نساء المسلمين[٣].

٣. عدم الإساءة إليهم وعدم الرد على إساءتهم بمثلها

وهذا أمر واضح مما بينته آيات القرآن الكريم بيانا شافيا في أصول العلاقات بين المسلمين وغيرهم ومن ضمنهم أهل الكتاب قال الله تعالى :" **وَلا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْواً بِغَيْرِ عِلْمٍ كَذَلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ مَرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (١٠٨: الأنعام)** قال ابن عطية في تفسيره: الآية مخاطبة للمؤمنين والنبي –صلى الله عليه وسلم– وقال ابن عباس وسببها أن كفار قريش قالوا لأبي طالب إما أن ينتهي محمد، وأصحابه عن سب آلهتنا والغض منها، وإما نسب إلهه، ونهجوه فنزلت الآية وحكمها على كل حال باق في الأمة فمتى كان الكافر في منعة، وخيف أن يسب الإسلام، أو النبي –صلى الله عليه وسلم– والله –عز وجل– فلا يحل للمسلم أن يسب دينهم، ولا صلبانهم، ولا يتعرض ما يؤدي إلى ذلك، أو نحوه، وعبر عن الأصنام، وهي لا تعقل بـ " الذين " وذلك على معتقد الكفرة فيها، وفي هذه الآية ضرب من الموادعة[٤]. وتأمل كلام ابن عطية رحمه الله –الموادعة–فهو من حسن التعبير عن تلك العلاقة التي يراد لها أن تكون بين المسلمين وأهل الكتاب وكذا غيرهم من غير المسلمين لاستمالة قلوبهم نحو هذا الدين العظيم الذي لايتم الدخول فيه بالإكراه؛ لأن المكره على الإسلام لن يقدم له شيئا إيجابيا

وقال ابن عاشور في تفسيره: وحكم هذه الآية محكم غير منسوخ.قال القرطبي: قال العلماء: حكمها باق في هذه الأمة على كل حال، فمتى كان الكافر في منعة وخيف أنه إن سب المسلمون أصنامه، أو أمور شريعته أن يسب هو الإسلام، أو النبي –عليه الصلاة والسلام– أن الله –عز وجل– لم يحل للمسلم أن يسب صلبانهم ولا كنائسهم؛ لأنه بمنزلة البعث على المعصية اهـ.أي على زيادة الكفر.وليس من السب إبطال ما يخالف الإسلام من عقائدهم في مقام المجادلة، ولكن السب أن نباشرهم في غير مقام المناظرة بذلك، ونظير هذا ما قاله علماؤنا فيما يصدر من أهل الذمة من سب الله تعالى، أو سب النبي –صلى الله عليه وسلم– بأنهم إن صدر منهم ما هو من أصول كفرهم فلا يعد سبا، وإن تجاوزوا ذلك عد سبا، ويعبر عنها الفقهاء بقولهم: "ما به كفر وغير ما به كفر"[٥]. وهذا سيد قطب – رحمه الله– تعالى يصور القضية من باب الأدب العالي بكلام حري بالتأمل فيقول رحمه الله: ومع أمر الرسول – صلى الله عليه وسلم – بالإعراض عن المشركين، فقد وجه المؤمنين إلى أن يكون هذا الإعراض في أدب، وفي وقار، وفي ترفع، يليق بالمؤمنين . لقد أمروا ألا يسبوا آلهة المشركين مخافة أن يحمل هذا أولئك المشركين على

---

[١] . الأم للشافعي ج٢ ص٢٦٤. وانظر: المحلى لابن حزم ج٦ص٧٩، والمنتقى شرح الموطأ:ج٣ ص١١٢وبدائع الصنائع:ج٥ص٤٧، والفتاوى الكبرى ج١ص١٧٥–١٧٦، والفتاوى الفقهية الكبرى لابن حجر ج١ص٧ ، والموسوعة الفقهية ج٧ص١٤٣ وما بعدها. وأحكام ابن العربي ج٢ص٥٥٦. وفي هذه المصادر وغيرها ما يظهر فيه اختلاف العلماء حول هذه المسألة المخصوصة.

[٢] . انظر ههنا تفسير الطبري ج٩ص٥٨٠ وما بعدها طبعة شاكر. والقرطبي ج٣ص٦٩

[٣] . انظر مثلا زهرة التفاسير ج١ص٧٢٥

[٤] . المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيزج٢ص٣٩٢.

[٥] . تفسير التحرير والتنوير ج٦ص٢٦٤ وكلام القرطبي المذكور أعلاه هو في تفسيره ج٧ص٦١

سب الله –سبحانه – وهم لا يعلمون جلال قدره وعظيم مقامه – فيكون سب المؤمنين لآلهتهم المهينة الحقيرة ذريعة لسب الله الجليل العظيم : " **وَلا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْواً بِغَيْرِ عِلْمٍ كَذَلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ مَرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (١٠٨: الأنعام)**" .

إن الطبيعة التي خلق الله الناس بها، أن كل من عمل عملاً، فإنه يستحسنه، ويدافع عنه! فإن كان يعمل الصالحات استحسنها ودافع عنها. وإن كان يعمل السيئات استحسنها ودافع عنها. وإن كان على الهدى رآه حسناً، وإن كان على الضلال رآه حسناً كذلك! فهذه طبيعة في الإنسان . . وهؤلاء يدعون من دون الله شركاء . . مع علمهم وتسليمهم بأن الله هو الخالق الرازق . . ولكن إذا سب المسلمون آلهتهم اندفعوا، وعدوا عما يعتقدونه من ألوهية الله، دفاعاً عما زين لهم من عبادتهم، وتصوراتهم وأوضاعهم وتقاليدهم! . . فليدعهم المؤمنون لما هم فيه :

" **ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ مَرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ** " . .

وهو أدب يليق بالمؤمن، المطمئن لدينه، الواثق من الحق الذي هو عليه، الهادئ القلب، الذي لا يدخل فيما لا طائل وراءه من الأمور. فإن سب آلهتهم لا يؤدي بهم إلى الهدى، ولا يزيدهم إلا عناداً . فما للمؤمنين وهذا الذي لا جدوى وراءه . وإنما قد يجرهم إلى سماع ما يكرهون . من سب المشركين لربهم الجليل العظيم[1]؟!

هذا ومن المفيد بيانه أن هذه الموادعة، وهذا الأدب له غاية نبيلة ليس القصد منها تمييع الدين كما يفهمه بعض من قصر فقهه، وفهمه، وإنما هي رسالة حقيقية في فهم الواقع والحفاظ على أمة المسلمين، وعدم تعريضهم لمخاطر لا تحمد عقباها خصوصا في هذا الزمان. جاء في بحث للمرحوم عبد الحميد السائح ما نصه: ولا بد أن نصرح بأن ليس القصد من حسن المعاملة والتعاون على الخير والمحبة وان يضحي المسلم بعقيدته وإيمانه، ولا أن يتخلى اليهودي أو النصراني عن دينه بالقهر والإكراه، وإنما القصد تمهيد السبيل لحياة عملية قائمة على رعاية المصالح العامة للمجموع، بتعاون الجميع تعاونا صادقا نابعا من قناعة وإرادة حرة اختيارية ؛ لأن ما يصيب الأمة بمجموعها من خير يؤثر على الجميع، ويصيبهم منافعه، وما يصيبها من شر، ومآثم، وكوارث تؤثر على الجميع أيضا..والعدو لا يفرق بين مسلم وغير مسلم، ومخططات العدو الصهيوني في فلسطين ولبنان مثلا كانت تستهدف الفريقين في أشخاصهم وأملاكهم ومقدساتهم، مما يستلزم التعاون الدنيوي، ومحاربة الطائفية والعنصرية بكل الوسائل الممكنة، وكما يتطلب هذا من المسلم أن يتقيد بإحكام دينه ومراعاتها، فإنه يتطلب من الآخرين أن يراعوا ما يجب عليهم نحو مواطنيهم من الحرص على مصالحهم، والإخلاص في التعاون معهم على خير المجموع ومحاربة كل مظاهر ومشاريع التفرقة والتمييز[2].

وثم آيات وأحاديث لابد من الوقوف عند بعضها ههنا لأنها تصب في هذا الباب وضوحا وسطوعا وتعزز فكرة الإحسان في المعاملة فمن ذلك ما جاء في قوله تعالى:" **وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً وَبِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنْبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَالاً فَخُوراً (٣٦: النساء)** فالذي يلاحظ أن هذه الآية تأمر بالإحسان إلى المذكورين دون تقييد أحوالهم بالإسلام من عدمه[3]. وقد كانت السيرة النبوية القولية والعملية مثالا تطبيقيا بارزا على تلك الأحكام ولا بد من بيان بعض الأمثلة حتى لايكون الكلام ملقى على عواهنه دون برهان . وليستمع إلى هذه السنة النبوية كل من ادعى أنه يتمسك بها، ولكنه يحيد عن مثل هذه الأحكام، ولا يشتغل إلا بتصنيف الناس بين الإيمان والكفر، وكان الله تعالى جعله حكما بينهم يدخل الجنة من يشاء ويخرج عنها من يشاء. جاء في الصحيحين : أن سهيل بن حنيف وقيس بن سعد كانا قاعدين بالقادسية فمر قوم عليهما بجنازة فقاما، فقيل لهما: إنهما من أهل الأرض يعني من أهل الذمة، فقالا: إن النبي –صلى الله عليه وسلم– مرت به جنازة فقام، فقيل له : إنها جنازة يهودي، فقال: أليست نفسا[4]؟

ومن هذا في السيرة العملية أن وفد نجران لما قدم على رسول الله –صلى الله عليه وسلم– دخلوا عليه مسجده، فحانت صلاتهم، فقاموا يصلون في مسجده، فأراد الناس منعهم، فقال رسول الله –صلى الله عليه وسلم–: دعوهم، فاستقبلوا المشرق وصلوا صلاتهم[5] وهكذا تم لهم، فإنهم دخلوا مسجد الرسول الكريم –صلى الله عليه وسلم– واستقبلوا قبلة غير قبلته، وصلوا صلاة غير صلاته على مشهد منه صلى الله عليه وسلم بل وحال الرسول –صلى الله عليه وسلم– دون منعهم من ذلك[6]

٤.دعوتهم إلى دين الإسلام بالحسنى ومجادلتهم بالتي هي أحسن

الغرب جزء من أمة الدعوة،، فقد علم من دين الإسلام بالضرورة عموم بعثته –صلى الله عليه وسلم– فهو رحمة الله إلى العالمين، ورسوله إلى الناس أجمعين، الغرب والشرق في ذلك سواء،

---

[1] . في ظلال القرآن ج٧ص١١٦٩

[2] . مدخل إلى معاملة غير المسلمين في الإسلام لعبد الحميد السائح ج١ص٢٩ ضمن كتاب نشره المجمع الملكي لبحوث الحضارة تحت عنوان معاملة غير المسلمين في الإسلام.

[3] . انظر في هذا تفسير الطبري ج٨ص٣٣٩

[4] . أخرجه البخاري في الصحيح برقم ١٣١٢ ومسلم في الصحيح برقم٢٢٦٩ج٣ص٥٨ باب القيام إلى الجنائز

[5] . زاد المعاد ج٣ص٦٢٣

[6] . مدخل إلى معاملة غير المسلمين في الإسلام لعبد الحميد السائح ص٣٠

ولهذا شاع في المصطلحات الإسلامية تعابير: أمة الدعوة وأمة الإجابة، أمة الدعوة هي العالم بأسره، وأمة الإجابة هم من آمن به صلى الله عليه وسلم، واتبع النور الذي أنزل معه، وللغرب في هذه المنظومة من الخصوصية ما ليس لغيرهم من بقية هذه الأمة، فجذورهم ترجع في الجملة إلى أهل الكتاب، ولأهل الكتاب من الخصوصية ما ليس لغيرهم، فقد أباحت الشريعة طعامهم، وأحلت نكاح نسائهم، بما لم تجزه مع فئة أخرى من غير المسلمين، وعقدت لأهل الكتاب الأمان في مجتمعاتها، وأعطتهم على ذلك ذمة الله ورسوله، وللنصارى منهم اعتبار أخص ورد ذكره في كتاب الله –عز وجل– عندما قال تعالى: "**وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى ذَلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَاناً وَأَنَّهُمْ لا يَسْتَكْبِرُونَ**" **(٨٢: المائدة)** وقد كانت دعوته صلى الله عليه وسلم صك تحرير للبشرية كل البشرية، ووثيقة إعلان لحقوق الإنسان جنس الإنسان، تخرجه من عبادة العباد إلى عبادة الله وحده، ومن ضيق الدنيا إلى سعة الدنيا والآخرة، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام، وكانت الرسالة الأولى المنوطة بهذه الأمة هي حمل هذا النور النبوي إلى مختلف أرجاء الأرض، وفتح مغاليق القلوب لهذا الحق، فالأمر إذن ليس خصوصية عداء للغرب، ولا خصوصية موالاة للشرق، فإن كلا من الغرب والشرق يتضمن البر والفاجر، وينتظم في سلكه المسلم والكافر، ولا يعقد ولاء ولا براء في الإسلام على غرب ولا شرق، وإنما يعقد على أساس الإيمان بالله ورسله، فقد حرر الإسلام بني البشر من التعصب للأعراق والألوان والألسنة، ومحض ولاءهم للحق الذي نزل من عند الله، وأمرهم أن يكونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على أنفسهم أو الوالدين والأقربين، وهو بهذا لا يفرق بين من يقيم في دار الإسلام أو يقيم خارجها، فهذه شريعة عامة تخاطب المسلم أينما كان، فوق كل أرض وتحت كل سماء، فالمسلم لا ينصر أحدا على باطل، مسلما كان أو غير مسلم، فردا كان أو كيانا سياسيا، غربيا كان أو شرقيا، قال تعالى : **لا تَجِدُ قَوْماً يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُوْلَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمْ الإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُوْلَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (٢٢:الممتحنة)** أي لا يوادون المحادين ولو كانوا من الأقربين، وقال تعالى : "**قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ**"**(٢٤:التوبة)** فأمر تعالى بمباينة من حاد عن الحق فطغى، واستحب العمى على الهدى، ولو كان من أقرب الأقربين، فالقضية إذن ليست موقفا يقفه المسلم ضد الغرب عامة[١]. ولما كان هذا هو سبيل المؤمنين وهذا هو واقع دينهم فقد أمرهم الله تعالى بالإحسان في دعوتهم الآخرين إلى دينهم؛ لأن الإحسان هو الوسيلة الوحيدة لتعريف الناس بالإسلام ولجذب الناس إليه قال الله تعالى مخاطبا نبيه صلى الله عليه وسلم " **ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ**" **(١٢٥: النحل)** وهذا وإن كان عاما في بيان سبيل الدعوة على العموم إلا أنه يصلح لما نحن فيه.

وأما ما يخص أهل الكتاب فلا ريب أن القرآن الكريم بين هذا الأمر غاية البيان فقال تعالى:" **وَلا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلاَّ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلاَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَأُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ**" **(٤٦: العنكبوت)**

هذه هي الحقيقة الضخمة العظيمة الرفيعة التي يقوم عليها الإسلام؛ وتقررها هذه الآية من القرآن؛ هذه الحقيقة التي ترفع العلاقات بين البشر عن أن تكون مجرد علاقة دم أو نسب، أو جنس، أو وطن. أو تبادل أو تجارة. ترفعها عن هذا كله لتصلها بالله، ممثلة في عقيدة واحدة تذوب فيها الأجناس والألوان؛ وتختفي فيها القوميات والأوطان؛ ويتلاشى فيها الزمان والمكان. ولا تبقى إلا العروة الوثقى في الخالق الديان.

ومن ثم يكشف المسلمين عن مجادلة أهل الكتاب إلا بالحسنى؛ لبيان حكمة مجيء الرسالة الجديدة، والكشف عما بينها وبين الرسالات قبلها من صلة، والإقناع بضرورة الأخذ بالصورة الأخيرة من صور دعوة الله، الموافقة لما قبلها من الدعوات، المكملة لها وفق حكمة الله وعلمه بحاجة البشر " **إلا الذين ظلموا منهم** " فانحرفوا عن التوحيد الذي هو قاعدة العقيدة الباقية؛ وأشركوا بالله وأخلوا بمنهجه في الحياة. فهؤلاء لا جدال معهم ولا محاسنة. وهؤلاء هم الذين حاربهم الإسلام عندما قامت له دولة في المدينة.

وإن بعضهم ليفتري على رسول الله –صلى الله عليه وسلم– أنه حاسن أهل الكتاب وهو في مكة مطارد من المشركين . فلما أن صارت له قوة في المدينة حاربهم، مخالفاً كل ما قاله فيهم وهو في مكة! وهو افتراء ظاهر يشهد هذا النص المكي عليه . فمجادلة أهل الكتاب بالحسنى مقصورة على من لم يظلم منهم، ولم ينحرف عن دين الله[٢].

---

[١] . من الجوانب الفقهية في علاقة المسلمين بالغرب للدكتور صلاح الصاوي ص٢وما بعدها مختصرا .والورقة من ضمن أوراق مؤتمر نحن والآخر المقام في الكويت برعاية وزارة الأوقاف الكويتية

[٢] . في ظلال القرآن ج٥ ص٢٧٤٥

وإذا كان هذا الأمر في سبيل دعوتهم إلى دين الإسلام لابد من سلوكه بهذه الكيفية فإن آية أخرى ذات دلالة بينة تدل على تأكيد هذا الأمر بل وتجاوزه إلى حسن المعاملة والبر والقسط تلكم هي الآية الكريمة التي فيها:" **لا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ"(٨:الممتحنة)** قال ابن عاشور رحمه الله عند تفسيره لهذه الآية: ويؤخذ من هذه الآية جواز معاملة أهل الذمة بالإحسان وجواز الاحتفاء بأعيانهم[١].والذي أميل إليه أنا أن الأمر أكبر من أن يكون جائزا فحسب وخصوصا إذا ربطنا القضية بالدعوة إلى الله تعالى.

وقال ابن جرير الطبري بعد أن بين اختلاف علماء التفسير في المعني بهذه الآية ما نصه: وأولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال: عُنِي بذلك: لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين، من جميع أصناف الملل والأديان أن تبرُّوهم وتصلوهم، وتقسطوا إليهم، إن الله عزّ وجلّ عمّ بقوله:" **الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ** " جميع من كان ذلك صفته، فلم يخصصْ به بعضًا دون بعض، ولا معنى لقول من قال: ذلك منسوخ؛ لأن برّ المؤمن من أهل الحرب ممن بينه وبينه قرابة نسب، أو ممن لا قرابة بينه وبينه ولا نسب غير محرّم ولا منهيّ عنه إذا لم يكن في ذلك دلالة له، أو لأهل الحرب على عورة لأهل الإسلام، أو تقوية لهم بكُراع أو سلاح[٢].

هذه طائفة من أقوال المفسرين متقدمين ومتأخرين في هذا الجانب وهي واضحة الدلالة على ما نريد بيانه في هذا الجانب والله تعالى أعلم.

وليعلم أن البر بأهل الكتاب ليس هو التودد إليهم، وموالاتهم، وهذا ما بينه القرافي في الفروق فقال:

اعلم أن الله تعالى منع من التودد لأهل الذمة بقوله تعالى "**يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَنْ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَاداً فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي تُسِرُّونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنْتُمْ وَمَنْ يَفْعَلْهُ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ**" **(١:الممتحنة)** فمنع الموالاة والتودد وقال في الآية الأخرى "**لا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ: (٨:الممتحنة)** وقال في حق الفريق الآخر "**إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَى إِخْرَاجِكُمْ أَنْ تَوَلَّوْهُمْ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ**" **(٩:الممتحنة)** . وقال صلى الله عليه وسلم { استوصوا بأهل الذمة خيرا }[٣] وقال في حديث آخر { استوصوا بالقبط خيرا}[٤] فلا بد من الجمع بين هذه النصوص، وإن الإحسان لأهل الذمة مطلوب، وإن التودد والموالاة منهي عنهما، والبابان ملتبسان فيحتاجان إلى الفرق، وسر الفرق أن عقد الذمة يوجب حقوقا علينا لهم؛ لأنهم في جوارنا وفي خفارتنا وذمة الله تعالى، وذمة رسوله –صلى الله عليه وسلم– ودين الإسلام، فمن اعتدى عليهم ولو بكلمة سوء، أو غيبة في عرض أحدهم، أو نوع من أنواع الأذية، أو أعان على ذلك فقد ضيع ذمة الله تعالى، وذمة رسوله صلى الله عليه وسلم، وذمة دين الإسلام. وكذلك حكى ابن حزم في مراتب الإجماع له أن من كان في الذمة، وجاء أهل الحرب إلى بلادنا يقصدونه وجب علينا أن نخرج لقتالهم بالكراع، والسلاح، ونموت دون ذلك صونا لمن هو في ذمة الله تعالى، وذمة رسوله صلى الله عليه وسلم، فإن تسليمه دون ذلك إهمال لعقد الذمة. وحكى في ذلك إجماع الأمة، فقد يؤدي إلى إتلاف النفوس والأموال صونا لمقتضاه عن الضياع إنه لعظيم، وإذا كان عقد الذمة بهذه المثابة وتعين علينا أن نبرهم بكل أمر لا يكون ظاهره يدل على مودات القلوب ولا تعظيم شعائر الكفر فمتى أدى إلى أحد هذين امتنع وصار من قبل ما نهي عنه في الآية وغيرها، ويتضح ذلك بالمثل فإخلاء المجالس لهم عند قدومهم علينا، والقيام لهم حينئذ، ونداؤهم بالأسماء العظيمة الموجبة لرفع شأن المنادى بها هذا كله حرام، وكذلك إذا تلاقينا معهم في الطريق وأخلينا لهم واسعها، ورحبها، والسهل منها، وتركنا أنفسنا في خسيسها، وحزنها، وضيقها كما جرت العادة أن يفعل ذلك المرء مع الرئيس، والولد مع الوالد، والحقير مع الشريف؛ فإن هذا ممنوع لما فيه من تعظيم شعائر الكفر، وتحقير شعائر الله تعال،ى وشعائر دينه واحتقار أهله . ومن ذلك تمكينهم من الولايات والتصرف في الأمور الموجبة لقهر من هي عليه، أو ظهور العلو وسلطان المطالبة فذلك كله ممنوع، وإن كان في غاية الرفق، والأناة أيضا؛ لأن الرفق والأناة في هذا الباب نوع من الرئاسة والسيادة وعلو المنزلة في المكارم فهي درجة رفيعة أوصلناهم إليها، وعظمناهم بسببها، ورفعنا قدرهم بإيثارها وذلك كله منهي عنه . وكذلك لا يكون المسلم عندهم خادما، ولا أجيرا يؤمر عليه، وينهى ولا يكون أحد منهم وكيلا في المحاكمات على المسلمين عند ولاة الأمور فإن ذلك أيضا إثبات لسلطانهم على ذلك المسلم . وأما ما أمر به من برهم ومن غير مودة باطنية فالرفق بضعيفهم، وسد خلة فقيرهم، وإطعام جائعهم، وإكساء عاريهم، ولين القول لهم على سبيل اللطف لهم، والرحمة لا على سبيل الخوف،

[١] . تفسير التحرير والتنوير ج٢٨ص١٣٥

[٢] . تفسير الطبري ج٢٣ ص٣٢٣

[٣] . هذا الحديث بهذا اللفظ لم أجده فيما بين يدي من المصادر إلا عند القرافي

[٤] . قال السيوطي في جامع الأحاديث أخرجه ابن سعد في الطبقات والبخاري في التاريخ الكبيرج٤ص٣٦٥ . قلت هو في التاريخ الكبيرج٥ص٣٠٩، وهو في الطبقات الكبرى ج٨ص١٧٢ طبعة دار الكتب العلمية. وقال السيوطي في موضع آخر تحت حديث رقم ٢٣٩٥: أخرجه الطبراني. وقال الهيثمي أخرجه الطبراني–٦١/١٩–رقم ١١١قال: رواه بإسنادين رجال أحدهما رجال الصحيح ج١٠ص٦٣، مجمع الزوائد.

والذلة، واحتمال إذايتهم في الجوار مع القدرة على إزالته لطفا منا بهم لا خوفا وتعظيما، والدعاء لهم بالهداية، وأن يجعلوا من أهل السعادة، ونصيحتهم في جميع أمورهم في دينهم ودنياهم، وحفظ غيبتهم إذا تعرض أحد لأذيتهم، وصون أموالهم، وعيالهم، وأعراضهم، وجميع حقوقهم، ومصالحهم، وأن يعانوا على دفع الظلم عنهم، وإيصالهم لجميع حقوقهم، وكل خير يحسن من الأعلى مع الأسفل أن يفعله، ومن العدو أن يفعله مع عدوه؛ فإن ذلك من مكارم الأخلاق فجميع ما نفعله معهم من ذلك ينبغي أن يكون من هذا القبيل لا على وجه العزة والجلالة منا، ولا على وجه التعظيم لهم، وتحقير أنفسنا بذلك الصنيع لهم، وينبغي لنا أن نستحضر في قلوبنا ما جبلوا عليه من بغضنا، وتكذيب نبينا –صلى الله عليه وسلم– وأنهم لو قدروا علينا لاستأصلوا شأفتنا، واستولوا على دمائنا وأموالنا، وأنهم من أشد العصاة لربنا، ومالكنا عز وجل، ثم نعاملهم بعد ذلك بما تقدم ذكره امتثالا لأمر ربنا عز وجل، وأمر نبينا صلى الله عليه وسلم لا محبة فيهم، ولا تعظيما لهم، ولا نظهر آثار تلك الأمور التي نستحضرها في قلوبنا من صفاتهم الذميمة؛ لأن عقد العهد يمنعنا من ذلك فنستحضرها حتى يمنعنا من الود الباطن لهم والمحرم علينا خاصة. وبالجملة فبرهم والإحسان إليهم مأمور به، وودهم وتوليهم منهي عنه فهما قاعدتان إحداهما محرمة، والأخرى مأمور بها وقد أوضحت لك الفرق بينهما بالبيان والمثل فتأمل ذلك[1] .

المطلب الثالث: نبذة حول القتال في الإسلام أسبابه ومسوغاته

لماذا نقاتل نحن المسلمين؟ وهل ما في كتابنا الكريم يحفزنا إلى قتل الآخرين الذين يخالفون ديننا؟ هذا ما نود بيانه في هذه الصفحات الآتية:

إذا تأملنا في القرآن الكريم حول مادة قتل فما عسانا نجد؟

إن المتأمل في كتاب اله تعالى يجد فيه في هذا الجانب عجبا ذلك أن القرآن الكريم قد وقع فيه التعبير بكلمة (اقتلوا–قاتلوا) في مواضع عدة، وكلها في مقام مقاتلة الذين يقاتلون المسلمين فمن ذلك فيما يخص مادة(اقتلوا)) **قول الله تعالى:**"**وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُمْ مِنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ وَلا تُقَاتِلُوهُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّى يُقَاتِلُوكُمْ فِيهِ فَإِنْ قَاتَلُوكُمْ فَاقْتُلُوهُمْ كَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ (١٩١) فَإِنْ انتَهَوْا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (١٩٢) وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ فَإِنْ انتَهَوْا فَلا عُدْوَانَ إِلاَّ عَلَى الظَّالِمِينَ (١٩٣) الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ وَالْحُرُمَاتُ قِصَاصٌ فَمَنْ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ (١٩٤)** "من سورة البقرة، وفي مواضع أخرى من القرآن الكريم قول الله تعالى:" **فَمَا لَكُمْ فِي الْمُنَافِقِينَ فِئَتَيْنِ وَاللَّهُ أَرْكَسَهُمْ بِمَا كَسَبُوا أَتُرِيدُونَ أَنْ تَهْدُوا مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ وَمَنْ يُضْلِلْ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ سَبِيلاً (٨٨) وَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاءً فَلا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ أَوْلِيَاءَ حَتَّى يُهَاجِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَخُذُوهُمْ وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَلا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ وَلِيّاً وَلا نَصِيراً (٨٩) إِلاَّ الَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ أَوْ جَاءُوكُمْ حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ أَنْ يُقَاتِلُوكُمْ أَوْ يُقَاتِلُوا قَوْمَهُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَسَلَّطَهُمْ عَلَيْكُمْ فَلَقَاتَلُوكُمْ فَإِنْ اعْتَزَلُوكُمْ فَلَمْ يُقَاتِلُوكُمْ وَأَلْقَوْا إِلَيْكُمُ السَّلَمَ فَمَا جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلاً (٩٠) سَتَجِدُونَ آخَرِينَ يُرِيدُونَ أَنْ يَأْمَنُوكُمْ وَيَأْمَنُوا قَوْمَهُمْ كُلَّ مَا رُدُّوا إِلَى الْفِتْنَةِ أُرْكِسُوا فِيهَا فَإِنْ لَمْ يَعْتَزِلُوكُمْ وَيُلْقُوا إِلَيْكُمُ السَّلَمَ وَيَكُفُّوا أَيْدِيَهُمْ فَخُذُوهُمْ وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأُوْلَئِكُمْ جَعَلْنَا لَكُمْ عَلَيْهِمْ سُلْطَاناً مُبِيناً (٩١)** " من سورة النساء. وفي موضع آخر قال الله تعالى:" **فَإِذَا انسَلَخَ الأَشْهُرُ الْحُرُمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَاحْصُرُوهُمْ وَاقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (٥) وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلامَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لا يَعْلَمُونَ (٦) كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ رَسُولِهِ إِلاَّ الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ فَمَا اسْتَقَامُوا لَكُمْ فَاسْتَقِيمُوا لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ (٧) كَيْفَ وَإِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ لا يَرْقُبُوا فِيكُمْ إِلاًّ وَلا ذِمَّةً يُرْضُونَكُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ وَتَأْبَى قُلُوبُهُمْ وَأَكْثَرُهُمْ فَاسِقُونَ (٨) اشْتَرَوْا بِآيَاتِ اللَّهِ ثَمَناً قَلِيلاً فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِهِ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (٩) لا يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلاًّ وَلا ذِمَّةً وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُعْتَدُونَ (١٠) فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَنُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ (١١) وَإِنْ نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ مِنْ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُوا فِي دِينِكُمْ فَقَاتِلُوا أَئِمَّةَ الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لا أَيْمَانَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنْتَهُونَ (١٢) أَلا تُقَاتِلُونَ قَوْماً نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ وَهَمُّوا بِإِخْرَاجِ الرَّسُولِ وَهُمْ بَدَءُوكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ أَتَخْشَوْنَهُمْ فَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَوْهُ إِنْ كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ (١٣) قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنْصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ (١٤) وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ وَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (١٥)** من سورة التوبة. فهذه الآيات في كتاب الله تعالى التي ورد فيها لفظ "اقتل" بصيغة فعل الأمر، وليس فيها ولا أي موضع يخص أهل الكتاب. على أنه بعد التأمل في هذه الآيات نجد أن هذا الأمر وارد في سياق مقاتلة أعداء الدين بعد مقاتلتهم للمسلمين ونبذهم لعهودهم واستعداء الآخرين على أمة الإسلام. قال الطبري رحمه الله فيما يخص بعضا منها ما نصه: القول في تأويل قوله تعالى : " **وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُمْ مِنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ** "

[1] . الفروق للقرافي ج٣ص١٥ وما بعدها.

قال أبو جعفر: يعني تعالى ذكره بذلك: واقتلوا أيها المؤمنون الذين يقاتلونكم من المشركين حيث أصبتم مَقاتلهم وأمكنكم قتلهم[1]. وكلام الطبري واضح في هذا الباب فالأمر إذن منصب على مقاتلة من يقاتل المسلمين، وفي بيان الأحكام المستخرجة من آيات القتال في القرآن الكريم قال الدكتور الزحيلي: يستخلص من هذه الآية وغيرها الواردة في بيان حالات مشروعية القتال، وحكمة الإذن بالجهاد ما يأتي:

١. شرع القتال في سبيل اللّه لرد العدوان وحماية الدعوة، وحرية الدين الإلهي.
٢. كان تشريع القتال متصفا بالعدل والحق، فهو لا اعتداء فيه على أحد، ولا يتجاوز فيه ما تقتضيه الضرورة الحربية، وليس الهدف منه التدمير والتخريب، ولا الإرهاب المجرد، فلا يقتل غير المقاتلين، ولا تقتل النساء والصبيان ونحوهم من الرهبان والعجزة والمرضى والشيوخ، ولا تقطع الزروع والثمار، ولا تذبح الحيوانات إلا لمأكلة، كما جاء في الوصايا النبوية ووصايا الخلفاء الراشدين.
٣. لم يكن القتال لإكراه الناس على اعتناق الإسلام، فذلك منفي أصلا في شريعة القرآن، بآيات كثيرة منها: "**لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ** "(٢٥٦ :**البقرة**) وقوله تعالى:" **أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ** " (**٩٩ :يونس**) .
٤. لم يشهد التاريخ أمة منصفة، رحيمة بالضعفاء، مترفعة عن الدنايا وسفاسف الأمور، مثل أمة الإسلام، كما اعترف بذلك المنصفون من قادة الفكر في الغرب، قال الفيلسوف الفرنسي جوستاف لوبون: «ما عرف التاريخ فاتحا أعدل ولا أرحم من العرب» . أما ما يزعمه الحاقدون والجهلة من أن الإسلام دين قام بالسيف، فهو مجرد فرية أملاها الحقد الدفين وتشوية الحقائق وكذبها التاريخ والواقع[2].

وأما ما يخص الفعل"قاتل" فقد ورد في عدة آيات هذه نماذج منها غير تلك التي مرت في المواضع السابقة والمهم بيان ما يتعلق منها بأهل الكتاب قال الله تعالى:" **قَاتِلُوا الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلا بِالْيَوْمِ الآخِرِ وَلا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنْ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ**" **(٢٩)** من سورة التوبة.

وليس في القرآن أمر بقتل أهل الكتاب، وإنما فيه الأمر بمقاتلتهم وهناك فرق كبير بين قتلهم ومقاتلتهم. فإن المقاتلة مفاعلة من القتل بمعنى أنه لابد من وجود متقاتلين يتقاتلان، ولا ينصرف هذا الفعل إلى قيام واحد بقتل آخر دون أن يكون للآخر توجه لذات الفعل. وعلى هذا تلتئم آيات القرآن كلها المتعلقة بهذا الباب؛ ليكون المراد منها معاملة الغير بنفس ما يعاملنا به، فليس في آيات القرآن أي تصريح أو إذن بالاعتداء على الآخرين وذلك قوله تعالى: " **وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ** "(١٩٠:البقرة)

قال الشيخ أبو زهرة رحمه الله تعالى: إن غير المسلمين أقسام ثلاثة:

القسم الأول – يعيشون مع المسلمين ويسالمونهم، ولا يعملون لحساب غيرهم، وهؤلاء لهم ما للمسلمين وعليهم ما عليهم، وتصح موادتهم، كنص الآية الكريمة : "**لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين**".

والقسم الثانى – الذين يقاتلون المسلمين، ويدبرون لهم المكايد، وهؤلاء لا تجوز موادتهم، وقد قال سبحانه في ذلك: "**لا تَجِدُ قَوْماً يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُوْلَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمْ الإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُوْلَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمْ الْمُفْلِحُونَ**" الممتحنة

القسم الثالث – طائفة لم تعلن المجاهرة بالعداوة، ولكنهم في قلوبهم يتمنون في ذات أنفسهم خذلان المسلمين، ونصرة غيرهم، فظاهرهم مع المسلمين، وقلوبهم مع أعدائهم، وهؤلاء نعاملهم بما عامل به النبي (صلى الله عليه وسلم) المنافقين، نسالمهم، ولا نكشف خبيئة نفوسهم، ولكن نأخذ حذرنا منهم[3].

وإذا تأمل متأمل حقيقة القتال في الإسلام وجد أن المسلمين يقاتلون غيرهم في الظروف الآتية:

١. من المعلوم بأن دين الإسلام دين خاتم لجميع الأديان، وهذه حقيقة يقر بها جميع المسلمين، ولا يوجد عند أحد منهم خلاف في هذه المسألة، وإذا كان الإسلام بهذه الصفة فهو دين عالمي والدعوة الإسلامية التي أنزلها الله . تعالى . على نبينا محمد–صلى الله عليه وسلم– دعوة عالمية، ورسالة خاتمة للرسالات السابقة. أراد الله تعالى لها أن تكون دعوة إنسانية موجهة للبشر جميعاً، لا تخاطب أقواماً بأعيانهم ولا جنساً بذاته، رضيها الله تعالى للناس ديناً، فكانت هي «الدين» الكامل الذي أتمَّ الله تعالى به علينا النعمة فقال: "**الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِينًا**" (٣:المائدة).

[1] . تفسير الطبري ج٣ص٥٦٤، وانظر القرطبي ج٢ ص٣٥٠، وابن عاشور ج٢ص٢٠١ وما بعدها، وانظر تفسير المنار ج٢ص١٦٨

[2] . التفسير المنير للزحيلي ج٢ص١٧٤.

[3] . زهرة التفاسير ص٢٢٤١.

وقد تواردت النصوص الشرعية بدلالتها القاطعة على عموم رسالة الإسلام وعالميتها منذ بداية الدعوة، وهي لا تزال محصورة في شعاب مكة المكرمة، وأصحابها لا يزالون يتخفَّوْن في دار الأرقم بن أبي الأرقم وسط المجتمع الجاهلي الواسع؛ فمحمد –صلى الله عليه وسلم – رسول الله إلى الناس كافة. قال تعالى: "**وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا**" (٢٨:سبأ) وقال تعالى: "**وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ**" (١٠٧:الأنبياء).

والخطاب موجَّهٌ للناس جميعاً: "**قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ**" (١٥٨:الأعراف) .

والقرآن الكريم أنزله الله تعالى ليكون ذكراً للعالمين جميعاً، وليس لأمة بعينها: "**إِنْ هُوَ إِلاَّ ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ** " (٢٧:التكوير) وقال تعالى: "**تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا**" (١:الفرقان) وقال تعالى: "**يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُم بُرْهَانٌ مِّن رَّبِّكُمْ**" (١٧٤:النساء) بل هو بلاغ لكل من يبلغه خبره، وينتهي إليه أمره في عصره وفي سائر العصور إلى يوم القيامة، قال تعالى: "**وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا القرآن لأُنذِرَكُم بِهِ وَمَن بَلَغَ**"(١٩:الأنعام) . والجنُّ والإنس في هذا الخطاب سواء: "**يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالإِنسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ** " (١٣٠:الأنعام).

ومما يشير إلى عالمية دعوته عليه الصلاة والسلام وعموم رسالته: أن المعجزة الكبرى التي أيَّده الله تعالى بها مع ما أيّده به من معجزات كانت معجزة خالدة دائمة تختلف عن معجزات الأنبياء السابقين، عليهم الصلاة والسلام؛ حيث كانت تنقضي معجزاتهم المادية بوقوعها، ولا يبقى أثرها قائماً، ولهذا كانت الشرائع قبل شريعة محمد –صلى الله عليه وسلم– إنما خُصَّ بها قوم دون قوم، وكانت شريعته عامة لجميع الناس. ولما كان هذا كله إنما فضل فيه صلى الله عليه وسلم؛ لأنه فضلهم في الوحي الذي استحق به اسم النبوة.

فهذه الدعوة الأخيرة الخاتمة الناسخة للدعوات السابقة رسالة مفتوحة إلى الأمم كلها، وللأجيال كلها، وليست رسالة مغلقة على أهل زمان أو أهل مكان، فناسب أن تكون معجزتها مفتوحة كذلك للقريب والبعيد، لكل أمة ولكل جيل. والخوارق القاهرة لا تلوي إلا أعناق من يشاهدونها، ثمَّ تبقى بعد ذلك قصة تروى لا واقعاً يُشْهد.

وإن مما يدل على عالمية الإسلام، وأنه خطاب موجَّه للإنسان بما هو إنسان دون النظر إلى جنسه أو لونه أو إقليمه: أن الإسلام هو نظام الكون كله؛ فإن كلَّ ما في هذا الكون من أصغر ذرة فيه إلى أكبر جرم من الأجرام السماوية، إنما يخضع لله سبحانه وتعالى خضوعاً اضطرارياً؛ فقد اتجهت إرادة الله تعالى إلى هذا الكون فأوجدته، وأودعه سبحانه قوانينه التي يتحرك بها، والتي تتناسق بها حركة أجزائه فيما بينها كما تتناسق حركته الكلية سواء بسواء. قال سبحانه وتعالى: "**إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَن نَّقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ**" (٤٠:النحل) . "وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا" ٢(:الفرقان).

وهذا الإنسان كذلك في جانب من جوانب وجوده منقادٌ لقانون الفطرة مجبول على اتّباعه. وفي جانب آخر أوتي حرية الاختيار والرأي والعمل. وحتى يتم التناسق بين هذين الجانبين من جهة، وبين وجوده كله ووجود الكون ونظامه من جهة أخرى، حتى يتم هذا وذاك لا بُدَّ أن يخضع الإنسان لله سبحانه وتعالى ويستسلم له ويدين بشرعه. وهكذا يكون الإسلام دين البشرية كلها، بل دين الموجودات كلها، تلك التي تخضع لله سبحانه وتطيع. قال تعالى: "**تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلاَّ يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِن لاَّ تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ**" (٤٤:الاسراء) . "**أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ** " (٨٣:آل عمران) .

ومما يؤيد عموم دعوة الإسلام للبشرية جميعها مما يتصل بهذا الجانب الذي أشرنا إليه: أن الواقع العملي لسيرة النبي صلى الله عليه وسلم في دعوته جاء يترجم عن هذه الدعوة العالمية. فبعد أن كان –صلى الله عليه وسلم– يعرض نفسه على القبائل في موسم الحج وفي المواسم الأخرى، يدعوهم إلى الإسلام، وبعد أن انتقل بالدعوة إلى المدينة الطيبة وأعلى الله دينه ومكَّن له في الجزيرة العربية بعدئذ بدأ صلى الله عليه وسلم يبعث بالكتب والرسائل إلى الملوك والأمراء وزعماء العالم، يدعوهم إلى الإسلام، فكتب إلى هرقل عظيم الروم، وكتب إلى كسرى عظيم فارس، وكتب إلى نجاشيّ الحبشة، وكتب إلى المقوقس ملك مصر والإسكندرية، وكتب إلى غيرهم من الملوك والزعماء.

وقد قام الرسول –صلى الله عليه وسلم–بإبلاغ هذه الدعوة، فصدع بالأمر، ودعا الناس جميعاً إلى دين الله تعالى: "فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ" (٩٤:الحجر) . "**قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ**" (١٠٨:يوسف). "**يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ**"(٦:المائدة).

وهذه الدلائل كلها تقوم شاهداً عدلاً، وحجة قاطعة على أن الإسلام دعوة للناس جميعاً منذ اللحظة الأولى التي بعث الله تعالى فيها نبيه محمداً –صلى الله عليه وسلم– وأمره بالقراءة باسم ربه «الذي خلق»؛ إذ موضوعها هو «الإنسان» وهي موجهة كذلك «للإنسان» بما أنه إنسان، والكلُّ في هذا سواء. واستمر النبي–صلى الله عليه وسلم– في القيام بهذه الدعوة إنفاذاً لأمر ربه تبارك وتعالى حتى دخل

الناس في دين الله أفواجاً. وحمل الرسالةَ خلفاؤه من بعده، وأعلى الله كلمته وأظهر دينه على الأديان كلها[1].

ولما كان الإسلام هو الدين الخاتم لجميع الرسالات والأديان وجب على المسلمين أن يبلغوه للناس بالتي هي أحسن، وهذا البلاغ ليس فيه أي إرهاب أو قهر للناس على الدخول في هذا الدين، ولكن على المسلمين البلاغ فحسب فمن حال بينهم وبين هذا البلاغ وجب عليهم دفعه بما يقتضيه الدفع حتى إذا وصل الدفع إلى القتال؛ لأنه لا سبيل إلى سواه فإن الأمر يغدو من الوضوح بمكان. فهذا هو السبب الأول الذي يقاتل المسلمون من أجله.

٢. وهذه الأمة إذا تعرضت لعدوان من مقاتلين من غيرهم وجب عليهم أن يصدوا عادية المعتدي، وألا يسمحوا له أن يدنس حياض المسلمين. فهذا أيضا باب من الأبواب التي يقاتل المسلمون بسببها.

٣. إذا استنصرت أمة بالأمة الإسلامية وكان بينهم حلف أو لم يكن، وجب على المسلمين دفع الأذى عن المستنصرين ورد عادية العدوان عنهم.

وبهذا كله يبدو واضحا أنه لا يجوز في قاموس الإسلام والمسلمين أن يقاتل الناس لأجل ترك دينهم والدخول في دين الإسلام، فهذا مما لم يأذن به الله تعالى ولا رسوله –صلى الله عليه وسلم– ولا شريعة الإسلام؛ لأن دخول الإسلام بالإكراه لا يجدي الداخلين فيه شيئا. ودين الإسلام دين قوي بعقيدته وأفكاره ولا مجال فيه للإرهاب. على أن الأمة التي تلجا لإرهاب الناس أمة ضعيفة. فمن يصور الإسلام بالإرهاب يصوره دينا ضعيفا هشا، ولا يليق بالمسلمين أن يستمرءوا هذه الهشاشة في وصف دينهم[2].

وكيف يجوز لمسلم أو غير مسلم أن يتصور أن دين الإسلام يدعو لقهر الناس عن دينهم ويلجئهم للدخول في فيه مع التصريح الذي لا يمتري فيه من له نصيب من الفهم وذلك قوله تعالى :" **لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنْ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدْ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لا انفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (٢٥٦)** من سورة البقرة وقوله تعالى: " **وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لآمَنَ مَنْ فِي الأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعاً أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ (٩٩)** من سورة يونس. فهذا الأمر من بدهيات الإسلام وينبغي أن يحرص المسلمون على إظهاره لمن خفي عنه.

المطلب الرابع: المسلمون أمام عالم اليوم

قد يبدو جليا أنه من الضروري أن نختتم هذا البحث ببيان ما ينبغي قوله في هذا العصر الذي نحن فيه، لا سيما وقد اضطربت الأقوال وكثر الاتهام لأمة الإسلام بالإرهاب بعد الأحداث التي حدثت في أمريكا، وصار كثير من بلدان الغرب يكاد يرمي المسلمين عن قوس واحدة، مما حدا ببعض الذين يفتون أن يستصرخوا الناس لقتال الغرب كله، بحكم العداء السافر للإسلام وأهله من الحكومات التي تصلنا أخبارهم. والواجب على أهل العلم والفضل عدم جعل الناس في بوتقة واحدة، وكذا عليهم أن لا يستعدوا الناس ضد أمة الإسلام، لاسيما وكثير من الناس اليوم ينادي بالجهاد، وهو لايعلم منه إلا اسمه. فكيف يسمح لمثل هؤلاء أن يقودوا أمة الإسلام؟

ومن العدل القول إنه إذا كانت بعض حكومات الغرب تتكالب على الإسلام وأهله، فإن كثيرا من الغربيين قد حفزتهم تلك الأحداث إلى إعادة قراءة الإسلام من جديد. فجعل هؤلاء وأمثالهم من الذين يتدارسون الإسلام اليوم في صف المعادين للإسلام وأهله خسارة وانحراف. وليس في هذا ما يستدعي وصف المسلمين بالهوان فوق ما هم فيه، ولكن لما كانت هذه هي حقيقة العدالة والمتمثلة في قوله تعالى:" **وَلا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلاَّ تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى** " **(٨:المائدة)** وجب التفريق بين من يمارس العداوة وبين من لم يظهر منه العداء وفي الغالب هو ممن لا يهمه هذا الجانب من قريب أو بعيد والله تعالى أعلم.

الخاتمة:

بعد أن انتهينا من البحث لابد من التأكيد على بعض الحقائق التي ورد بعضها في ثنايا البحث وبعض لم يرد:

١. أن أمم الأرض لم تذق طعم العدالة الحقيقية إلا عند الإسلام والمسلمين

٢. ليس في دين الإسلام الدعوة إليه بالإكراه والعنف

٣. نحن أمة اليوم حالها لا يخفى على أحد، ولذا على العقلاء أن لا يستعدوا الناس جميعا على أمة الإسلام بحجج وبلا حجج

٤. يجب أن نعي تماما أن العالم ليس لنا وحدنا، وأننا في ضوء هذه الحقيقة يجب أن نتعايش بسلام مع الآخرين دون اعتداء من أحد على أحد.

٥. يجب أن نميز في التعامل مع أهل الكتاب، إذ ليسوا هم في التعامل على مرتبة واحدة، فهم أصناف متعددون.

التوصيات:

يوصي الباحث في نهاية بحثه إلى ضرورة قراءة تلك العلاقة المنشودة بين أمة الإسلام وأمم الأرض جميعا من خلال الكتاب والسنة

---

[1] . أصل العلاقة بين المسلمين وغير المسلمين للدكتور عثمان جمعة ضميرية.مقال منشور في مجلة البيان عن طريق الإنترنت ورابطه –http://www.albayan-magazine.com/files/tanseer/tanseer/27.htm

[2] . أنا في هذا المقام أتحدث عن الواقع الذي يعيشه الإسلام والمسلمون اليوم ولا أتحدث عن واقع تكون فيه دولة الإسلام هي الدولة الكبيرة التي تحكم في العالم ولذا لا أتحدث هنا عن امتناع أفراد الدول الكتابية عن دفع الجزية كيف يتم التعامل معهم في هذه الحالة. على أنه من اللازم بيانه أن دفع الجزية هو مقابل حماية الدولة الإسلامية لأهل الكتاب وإعطائهم حقوقهم لا لأجل امتناعهم عن الدخول في الإسلام.

مع ضرورة النظر في اجتهادات العلماء الأعلام الأبرار القائمة على مصادر التشريع، وألا يترك أمر تحديد تلك العلاقة لكل من هب ودب.

المصادر والمراجع:

١. القرآن الكريم
٢. أحكام القرآن، الجصاص، أحمد بن علي الرازي، بيروت، دار إحياء التراث العربي، بتحقيق محمد صادق قمحاوي، ١٤٠٥هـ
٣. أحكام القرآن، ابن العربي، محمد بن عبد الله المعافري، ط٣، بيروت، دار الكتب العلمية، ٢٠٠٣م.
٤. أصل العلاقة بين المسلمين وغير المسلمين للدكتور عثمان جمعة ضميرية، بحث منشور على الشبكة الإلكترونية (الإنترنت).
٥. الأم، الشافعي، محمد بن إدريس، دار المعرفة، بيروت، ١٩٩٠م
٦. بدائع الصنائع، الكاساني، علاء الدين، ط٢، بيروت، دار الكتب العلمية،١٩٨٦م.
٧. التحرير والتنوير، ابن عاشور، محمد الطاهر، ط٢، تونس، ١٩٨٤م
٨. تفسير المنار، لمحمد رشيد رضا القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب.
٩. التفسير المنير،الزحيلي، الدكتور وهبة بن مصطفى،ط٢، دمشق، دار الفكر،١٤١٨هـ.
١٠. جامع البيان(تفسير الطبري) الطبري، محمد بن جرير، ط١، القاهرة، دار هجر، بتحقيق الدكتور عبد الله التركي،٢٠٠١م.
١١. الجامع الصحيح، البخاري، محمد بن إسماعيل، دار طوق النجاة،١٤٢٢هـ.
١٢. الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد، ط٢، القاهرة، دار الكتب المصرية،١٩٦٤م.
١٣. زاد المعاد في هدى خير العباد، لابن القيم،محمد بن أبي بكر،ط٢٧، بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٩٩٤م.
١٤. زهرة التفاسير، أبو زهرة، الشيخ محمد بن أحمد، مصر، دار الفكر العربي.
١٥. الفتاوى الفقهية الكبرى، ابن حجر الهيتمي، أحمد بن محمد، تركيا، المكتبة الإسلامية.
١٦. الفتاوى الكبرى، ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم، ط١، بيروت، دار الكتب العلمية،١٩٨٧م.
١٧. الفروق (أنوار البروق في أنواء الفروق)، القرافي، شهاب الدين أحمد بن إدريس، بيروت، عالم الكتب.
١٨. في ظلال القرآن، سيد قطب، ط١٧، بيروت دار الشروق،١٤١٢هـ.
١٩. المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ابن عطية، أبو محمد عبد الحق بن غالب،ط١، بيروت، دار الكتب العلمية،١٤٢٢هـ.
٢٠. المحلى، ابن حزم، أبو محمد، علي بن أحمد، بيروت، دار الفكر.
٢١. مدخل إلى معاملة غير المسلمين في الإسلام لعبد الحميد السائح، ضمن كتاب نشره المجمع الملكي لبحوث الحضارة تحت عنوان معاملة غير المسلمين في الإسلام.
٢٢. المسند الصحيح المختصر، النيسابوري، مسلم بن الحجاج، بيروت، دار إحياء التراث العربي.
٢٣. من الجوانب الفقهية في علاقة المسلمين بالغرب للدكتور صلاح الصاوي، بحث منشور على الشبكة الإلكترونية(الإنترنت).
٢٤. المنتخب في تفسير القرآن، لجنة من علماء الأزهر،ط١٨، مصر، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية،١٩٩٥م.
٢٥. المنتقى شرح الموطأ، الباجي، أبو الوليد سليمان بن خلف، مصر، مطبعة السعادة،١٣٣٢هـ.
٢٦. مواقع الإنترنت